يجتاح القاهرة ، بل كان يرى انه من الضروري تخليص البشرية من هذه « الملايين الحقيرة » : « رأى دانيو ( خبير فرنسي استقدمته السلطات المصرية لفحص سد أسوان ) الحارس وابنه في الشارع يحاولان زحزحة السيارة من الموقف . وكان دانيو يراقب تلاعبهما منذ ان وصل الى القاهرة . كان الوالد وأبنه يدفعان بالسيارة وهما يتظاهران ان سيارة أخرى ستاتي وان ليس هنالك من مكان . وهكذا يمضيان النهار على هذه الحال تلمع النقود في الهواء ويلتقطها الصبي بيد واحدة . قال دانيو بسره انها مهنة رابحة خاصة مع الاوضاع المعيشية المصرية . هكذا تأكل عائلة بأكملها . بزحزحة سيارات الناس شمالا وجنوبا يربحون خروفا وبصلا وورق عنب . ولكن اذا أنهار السد فان ذلك سينتهي ، ولن أرى بعد ذلك على مدخل الفنادق صبيانا من النوبة بعيون تشبه عيون الكلاب ... هذا الرجل الذي يحمل خروفا على دراجته وعليه علامة حمراء .. هذا الرجل سيموت أيضا ، وكذلك البائع عند كوبرى التحرير الذي سرق منه المال » ( ص ٢٣٢/٢٣٣ ) .

« وتابع دانيو هل ستموت الصبية بجذع شجرة يقتلها ؟ كلا انها ستموت تحت تأثير الضغط الجوي الذي سينفخ رئتيها ، ثم سيفجرهما . ان جلدها حار جدا . اما قذاف بأنفه الشديد الحمرة فسيموت ايضا على سطح مباني هليوبوليس لا شك . سيحاول التعلق بهوائي تلفزيون قبل ان يغمره الطوفان . كان دانيو في الطابق الاول من الفندق. حاول ان يقدر المسافة التي تبعد نافذته عن الشارع . وكانت مجلة سويسرية قد تنبأت بأن ارتفاع موج الطوفان سيبلغ ١٢ مترا حين يصل الى القاهرة . اذن ١٢ مترا ... بأمكانه ان يبقى نائما مع الصبية حتى مجيء المراكب . ستأتي المراكب وترمي الحبال لكي تنقذه ، وسينزل هو والصبية على الدرجات الموحلة ، ويغطس في الطمي الى ان يصل الى المركب . وقال في سره هل أحملها ؟ سيكون في الغرفة خرفان ميتة ، وربما كان هنالك جثث اطفال جرفتها المياه » .

ولا تكتفي هذه الروايات بهذا الرسم العنصري للعربي ولا بالتشفي من فواجعه ، بل تشحن مشاعر القارىء لقبول كل انواع العنف والتعذيب والقتل للانتقام من هذا العربي ، حتى ان كل هذه الروايات تقوم سطراسطراً وصفحة صفحة على جثث عربية تتساقط ، وعالم يولول ويستغيث ، وكأنك تعيش في جو الانتقام التوراتي نفسه وخاصة في روايات دوفيلييه ورواية « لو انفجر سد أسوان » . ان هنالك حربا مقدسة ضد العرب ، وثنائية حادة بين الاله الغربي والشيطان العربي . ان مالكو لا يستطيع ان يرتاح في حربه المقدسة هذه ، فطالما ظل هنالك عربي فأن العالم في خطر كما في سفر ارميا أصحاح ( ١٧/٤٨ ) : ملعون من يعمل عمل الرب برخاء . وملعون من يمنع سيفه عن الدم . أو أصحاح ( ٦/٤٧ ) آه يا سيف الرب حتى متى لا تستريح . انضم الى غمدك وأهدأ وأسكن . كيف يستريح والرب قد أوصاه . واصحاح( ٣٠/٥١ ــ ٣٢ ) انت لي فأس وأدوات حرب فاسحق بك الامم وأهلك بك الممالك واكسر بك الفرس وراكبه واسحق بك المركبة وراكبها ، وأسحق بك الرجل والمرأة واسحق بك الشيخ والفتى وأسحق بك الغلام والعذراء .

وفعلا فان دوفيلييه وميخائيل حاييم يقولان انهما استوحيا التوراة في كتاباتهم بل ان الثاني يقول ان كل روايته ( لو انفجر سد أسوان ) تحقيق لنبؤة توراتية : « راح الاسرائيليون الاتقياء يقولون ان نبؤة اشعيا قد تحققت مع مصر : سيجف ماء البحيرات وسيجف النهر